أثر الخيام في شعر الزهاوي

احمد صئوبر
طالب دكتورا كلية العلوم الانسانية قسم اللغة العربية وآدابها جامعة آزاد الاسلامية آبادان
الدكتور صادق ابراهيمي كاوري
استاذ مساعد اللغة العربية وآدابها الكلية العلوم الانسانية جامعة آزاد الإسلامية آبادان
Abrahimi.kavara2006@gmail.com

The influence of Khayyam on zahhawi poetry

Ahmed So'uber
Ph.D candidate - College of Human Sciences - Department of Arabic Language of Literature
Dr. Sadiq Ibraheemi Kawri
Asst. Prof. in Arabic Language of Literature/College of human Sciences/Azad Islamic University Abadan

المُلخَّص:-

تطلّع الزّهاوي نحوَ الآداب العالمية و تأثّرَ منها بداياتِ النَّهضة الأدبية المعاصرة، حيث أنّه ينتمي إلى المكتب الإحيائي الذي من سماته تقفّي روّاده للأدباء الكبار الماضين، فما اكتمَل المشوارُ عند الزهاوي إلّا بعد تعرّفه على الأدبِ الفارسي والخيام النّيشابوري بالتّحديد، فكانت أفكار الخيام المتجلية في الرّباعيات قد أخذت دوراً هاماً في إكمال شخصيةِ الزهاوي.

عملنا التّالي قد يهتمّ بالبحث حول "أثر الخيام في شعر الزهاوي" وأدبه على العموم فالزهاوي بعد ما تعرّف على الخيام و أفكاره الشّاذة، الجديدة قد وجدها عذبةً و هي تفيد مجتمعه للتخلّص من نكبة التخلّف الفكري المخيم على النفوس،فعكس تلك الأفكار في أدبه عموماً.

فهذا المقال ضمن الأدب المقارن والمدرسة الفرنسية يبحث أثر الخيام ورباعياته في شعر الزهاوي وذلك في جانبين: الشّكلي وقد بحثنا فيه حول تعريب الرباعيات بيد الزّهاوي نظماً ونثراً وإنشاد رباعيات على قرار رباعيات الخيام و في إدخال فكرة الخيام من قبل الزهاوي في رباعياته والجانب الجوهري و قد بحثنا فيه حول أثر الخيام في الزّهاوي في إدخال أفكاره في شعره على العموم و في النهاية نقدّم النتائج للبحث بصورة كلية.

الكلمات الدليلية: الزّهاوي، الخيام، الرباعيات، شعر الزّهاوي

Abstract:-

Looking broadly we find that zahhawi -lived in 19 century- is the "poet of Iraq" and he have a root in Persian litratur and he affected very mutch by Khayyam-lived in 5 century- througly this litratur and "robaeiiat".

Certainly zahhawi have influenced from other people such as "abo al ala al maary" -lived in 4 century- in pessimism and influenced from "darvin"- lived in19 century- in evolution and influenced from "ghasem amin" – lived in 19 century- over the women.

The subject matter of present study shows this fact that "the Zahhawi effected deeply by khayyam among them. And we discover two grounds for this effect: first we find that Zahhavi composed some robaeiats in Arabic language and he translated some Persian robaeiats too. secoudly we traced that Zahhavi effected in his poet by Khayyam by intering the important matters like:the role of wisdom in guidance of human and the state of god belief in origin and in return belief in transferring of human body into earth.

Key word: Al zahhawi-khayyam - robaeiiat - zahhawi poe

المقدمة:

إكتسب الزّهاوي شهرته بانفتاحه نحو العالم الجديد و تطلّعه نحو ما جائت به الحياة الجديدة، غير أنّه صاحبُ ميراثٍ عظيمٍ توارثه من كبارِ أصحابِ الحضارة الإسلامية فعندما وجد الزّهاوي نفسه في عائلة متحضرة عرف أنّ ليس لتطلّبِ العلي من وقوفٍ هناك و عهدَ على نفسهِ في النّيل من كلّ ما يجعله اهلاً للقب "شاعرالعراق الكبير".

فاهتمّ بالأدب العربي و العالمي لا سيما الأدب الفارسي كلَّ الإهتمام و ذلك بعد ما ورثَ اللغةَ الفارسية من جذورهِ الإيرانيةّ فأتقن تلك اللغة الغنية و أنشدَ أشعاراً باللّغة الفارسية و تعرَّف على كثيرٍ من أدباء اللغة الفارسية مثل الخيام النّيشابوري شاعر الرباعيات التي تحمل في يومنا هذا كلَّ الرموز التحررية.

عملنا هذا قد يسعي في البحث حول تأثر الزّهاوي في شعره بالخيام و رباعياته و الأفكار التي كانت تحملها ضمن إطار الأدب المقارن وفق المدرسة الفرنسية و ذلك عبر أسلوب التطبيق و المراجعة لأشعار هذين الأديبين و بما أنّ الزّهاوي قد يمتلك آثاراً شعرية كثيرة فقد أخذنا على عاتقنا البحث في كيفية تأثّر الزّهاوي بالخيام و ذلك في جانبين مختلفين؛حيث نجده يستقبل من فكرة تعريب رباعيات الخيام و يجلس في مقدمة المعربي للرباعيات و ذلك بصورتين النظم و النثر، ثمّ أنشد الرباعيات العربية على شكل رباعيات الخيام و جعل لكل رباعي مضموناً خاصاً كما فعل الخيامُ و أهدي عمله للأمة العربية التي تعاني من الكبت و العصبيات الفارغة، ثمّ في جانب آخر أدخل أفكار الخيام المتجدّدة في أشعاره و جعلها في بنودٍ واضحة فقمنا بدراسة كاملة لأثر الخيام في شعر الزّهاوي بعد أثره في شخصيته و ذلك في بابين التأثّر الشكلي الذي قد يتأثر الزهاوي من الخيام بتعريب الرباعيات الفارسية إلى العربية و هي من أجود التعريبات الموجودة لدينا و أيضاً قمنا بمقارنة تعريباته مع باقي تعريبات العرب و أيضا تأثّر الزهاوي من الخيام في إستعمال قالب الرباعي في إيراد أفكاره المتحرّرة و الباب الثاني هو التأثّر الجوهري و نبحث بنود ذلك التأثر التي تأثّر بها الزهاوي من الخيام و أدخل فكرة الخيام في آثاره الشعرية بصورة عامة فقمنا بدراسة كافة أشعاره لكشف تأثره بالخيام.

لابدّ من ذكر نقطة هامة جداً و هي أن الرباعيات التي نذكرها من الخيام في كل المقال

وبما أنّها باللّغة الفارسية فعلينا أن نترجمها بالعربية بطبيعة الحال، فسعينا أن نجد لكل رباعي خيامي تعريباً من عمل الأدباء العرب الشهيرين و نذكر تحتها المعرّب و لكن نجد أنّ بعض الرباعيات ليس لها تعريباً خاصاً فقمنا بالترجمة الشخصية اذ ليس هناك مرجعا مذكوراً تحت الرباعي.

أسئلة البحث:

كيف تأثر الزّهاوي في اشعاره الرباعيات بالخيام و أفكاره؟

هل تمتلك أشعار الزّهاوي بنوداً واضحةً متأثّرةً بآراء الخيام الثورية؟

و في الختام نصل إلى نظرةٍ كليةٍ و شاملةٍ حول تأثر الزّهاوي بالخيام في شعره و نقسّم هذا التاثير إلى قسمين منفصلين وهما:

الف: التأثر السطحي والشكلي في تعريب الرباعيات و إنشاد الرباعيات العربية.

ب: التأثر الجوهري في ادخال آراء الخيام في اشعاره بصورة عامة.

منهج ألبحث:

هذا المقال يدرس الأبحاث المذكورة بأسلوب الأدب المقارن على اساس الاستقراء و البحث في أشعار الزّهاوي بصورة عامة عن الطريق النقلي التحليليفدرسنا فيه أدب الخيام في الرّباعيات أولاً و استخرجنا من المراجع المقبولة تلك الرّباعيات التي تُناسب شخصية الخيام مع تلك الميزات الخاصة به، ثمّ في الخطوة الثانية تعرّفنا على فكرة الخيام في تلك الرباعيات و في الخطوة الثالثة درسنا أدب الزهاوي الشعري و تعرّفنا على ما تأثّر به الزهاوي بالخيام في أشعاره بصورة وافية و تامة .

بيان الموضوع:

إهتمّ هذا العمل كما يبين لنا عنوانه بالبحث حول أثر الخيام، الأديب المفكر صاحب الرباعيات الشهيرة بما تحمل من آراء و أفكار جديدة في شعر الزّهاوي، الشاعر الفيلسوف المتطلّع نحو العالم الحر؛ فنحن درسنا هذا التاثير من جوانب مختلفة و ذلك لم يحصل الّابعد خطوتين هامتين وهما:

أوّلاً: ألبحث حول الرباعيات الأصلية غير المنسوبة إلى الخيام إذ هناك الكثير ممن ينسبون رباعيات إلى الخيام لكنّها لم تتناسب مع شخصية الخيام كما بين لنا الدشتّي في كتابه "دمي با خيام" و ذلك من مصادرنا الهامة لمعرفة الرباعيات فنحن نستند إلى هذا الكتاب ولدينا مصدر آخر و هو "نكاهي به خيام" لشيرواني حيث يبحث في طياته أفكار الخيام ورباعياته و أيضاً "تحليل شخصيت خيام" للعلّامة الجعفري فهذه المصادر ساعدتنا على معرفة الخيام كثيراً.

ثانياً: ألبحث في آثار الزّهاوي و أشعاره و استخراج آثاره المتأثّرة بالخيام؛ فوجدنا أنّ الزّهاوي قد تأثّر بالخيام بصورتين: إستعمال قالب الرباعي في شعره و لبيان أفكاره، ومن بعدها إدخال فكرة الخيام التي قد شغف بها في آثاره الشعرية.

أهمية الموضوع:

إنّ الزّهاوي قد يوكد و في أكثر من مكان إنبهاره و شغفه بالخيام و ذلك لطريقة فكره ومعالجته لأصعب امور الحياة الإنسانية فما هي تلك الطريقة الفكرية التي يمتلكها الخيام أصلاً و ما هي أصولها، ثمّ إنّ الزّهاوي بعدما عرف تلك الفكرة و انطبَع بها كيف عكس ذلك في آثاره و ماهي جوانبها و ماهي بنودها فالمراد من عملنا هذا خلافاً لباقي الأعمال رفع الغبار عن جوانب تأثّر الزّهاوي بالخيام في شعره.

خلفية البحث:

قد لا نجد أعمالاً بحثت أثر الخيام في شعر الزّهاوي بصورة مباشرة وخاصة ونقول بجرأة أنّ هذا العمل أوّل عملٍ يبحث في هذا التاثير من جوانب عديدة لكن هناك بعض الأعمال المقبولة قد ساعدتنا بصورة مفردة لمعرفة الخيام وفكرته والزّهاوي وشخصيته منها:

أولاً: كتاب "الزّهاوي" لعبد الحميد الرشودي(١٩٦٢م) و هو كتاب قيم حول الزّهاوي يجمع آراء المعاصرين للزهاوي و شرح وافي لآثار الزّهاوي جملةً وتفصيلاً، ثانياً: كتاب "رباعيات الخيام في ضيافة الأدب العربي" ليوسف حسين بكار ومن ترجمة الدكتور خديور و طاهري (١٣٨٣شـ) وهو كتاب مفيد جداً والذي يعطيك مدخلاً للتعرّف على الرباعيات و تعريبها في الأدب العربي المعاصر

ثالثاً: كتاب "دمي با خيام" لعلي دشتي(١٣٥٦شـ) و هو كتاب نافع يعرّفنا على الرباعيات الصحيحة غير السقيمة المنسوبة للخيام و ذلك هام جدا لمعرفة الخيام ولمعرفة أصوله الفكرية.

تعرّف الزهاوي وتأثره بالخيام:

يعتبر إسم الخيام الايراني اسماً لامعاً في عصرنا الرّاهن فقد اشتهرَ عمرُ الخيام بفكرهِ المتحرّر وآرائه المتجدّدة التي كانَت و مازالت مثيرةً للإهتمام من قِبل من سمِع بها فعبَر الخيامَ حدودَ اللغةِ الفارسية وصارَ مصدراً هاماً لمن يحبّ الحرية المطلقة الغير محددة بسببِ العرق والدّين والمذهب والحدودِ الجغرافية.

تعرَّف جميل صدقي الزّهاوي أيضاً على الخيامِ و رباعياته وعبر ذلك على فكرته،لكن بصورةٍ تختلف عن باقي الأدباء الذين ذكرناهم فالزّهاوي ينتمي إلى أُسرة كانت تجيد اللغةَ الفارسية بسبب الأصول الإيرانية لها فالزّهاوي تعلّم الفارسية أيام طفولته حتى قيل أنه أوّل ما نظمه شعراً كان باللغة الفارسية(الديوان،١٩٧٩:ص د) فقرأ الرباعيات الخيامية من مصدره الأم دون واسطة أخرى و إنبهر بكلام الخيام وتفكيره، فعندما كان الزّهاوي قد ورث الإستبداد و الظّلم و تتابع الحكومات من الأتراك و الإنكليز والحكومات المحلية، عندها أخذ الجوهرة الفكرية للخيام و وجدها عذبةً وإتّخذها طريقاً للخلاص مما يعانيه شعبه من المشاكل العديدة فتلائم وتفاعل معها وأخرج لنا الأفكار الخيامية بصورة جديدة تفيد عصرنا الرّاهن.

فالخيام كما قلنا كان يظهرُ آراءً ونظريات غير مقبولة لمجتمعه آنذاك وكان يبديها غير متخفياً على الخصوص في رباعياته فهو بهذه الأفكار الشّاذة و الخاصة به قد سيئ فهمه من قبل معاصريه وقد طُردت هذه الأفكار والآراء طوال السنين حتى عصرنا الرّاهن الذي قد وجد خلاصه من عقبات التحجّر الفكري في اللجوء إلى هكذا آراء داعيةً إلى نبذ العصبيات، وفي العالم العربي قد اكتشف الزّهاوي معني كلام الخيام وأحيي الفكر الخيامي في آثاره ففي تلك الآثار نجد تقارباً شديداً له من الخيام في كيفية التّحليل والنقد للظواهر الاجتماعية والمواضيع الفلسفية.

التأثر الشكلي في تعريب الرباعيات وإنشاد رباعيات عربية كالخيام:

كانت الرباعيات الخيامية عملاً أدبياً خاصاً عبّرت عن شعورٍ خاصٍ قد سكبه الخيامُ في كلماتٍ وعباراتٍ وبنودٍ خاصةٍ ورسمَ من خلالِها صوراً ملونةً بأشكالٍ وألوانٍ من الخيال الواسع والواقع اليومي وزينه بانواع البديع والتشابيه والمجاز ولحّنها على أسهل الأوزان والقوافي التي ابتكرته الناسُ وامتهنته العوام فجمال هذا الشعر قد دعي المترجمين والمعرّبين من لغاتٍ متعددةٍ إلى نقل هذا العمل إلى لغاتهم.

فاتّجه العربُ و من ضمنهم الزّهاوي إلى هذا الشّكل الأدبي في عصرنا الراهن و توافدوا على إنشاد رباعيات و ذلك لسهولة هذا الوزن و لتعبيره السّهل عما يجري في ذهن الشاعر و عما يريده من أثرٍ يخلّفه في ذهن المستمع و أيضاً نجد توافد الشعراء المعاصرون لتعريب الرباعيات الخيامية فكان هذا العمل من أشهر أعمال الأدباء العرب المعاصرين.

نبحث في هذا الباب عدة أمور من زوايا خاصة:

الأوّل: تعريب الرباعيات الخيامية بيد الزّهاوي على صورتين النظم و النثر و نبحث بعض أمورها الفنّية.

الثاني: إنشاد رباعيات بيد الزّهاوي على شكل رباعيات الخيام و في نفس المضامين.

الثالث: إنشاد رباعيات بيد الزّهاوي على قرار رباعيات الخيام و في مضامين جديدة.

إنشاد رباعيات عربية بيد الزهاوي

نجد الزّهاوي من المُعجبين بالقالب الرباعي وذلك بعد التعرّف على رباعيات الخيام فهذا القالب كان قد عرف بسهولته في الوزن والشكل وصراحته في ايراد المعني والهدف والوصول للغايه من التأثر في ذهن القاري و جعل الزّهاوي ديوانه الشعري الثاني الذي طبع سنة (١٩٢٤م) في بيروت في مطبعة قابوس لهذا القالب خاصة وجعل هذا الديوان يشمل المواضيع المختلفة من الحب واليأس والأخلاق والسياسة وغيره من المواضيع.

الرباعيات الزهاوية متأثرة من رباعيات الخيام

يمتلك الزهاوي رباعيات باللغة العربية وجعل لها الباب الخاص في احدى دواوينه وجعل رباعياته كما فعل الخيام لموضوعٍ خاص،فلكل رباعي فلسفةٍ خاصة موحدة؛فنحن

درسنا لاستكمال بحثنا في التأثّر الزّهاوي الشكلي من الخيام نماذجَ من الرباعيات الزّهاوية التي أنشدها في فصل خاص متأثّرا بالخيام وافكاره الخاصة فتلك الرباعيات التي انشدها الزّهاوي تتشابه مع رباعيات الخيام شكلاً ومضموناً.

فأخرجنا تلك الرباعيات الزهاوية التي تتشابه كثيراً في المضمون مع بعض رباعيات الخيام وهذه الرباعيات تنقسم إلى ثلاثة أقسام نذكر فيها من الخيام والزهاوي رباعيات بذلك المضمون:

عدم الحزن بالدهر والإكتراث به:

في القسم الأوّل من الرباعيات التي استخرجنا فكرتها نجد الزّهاوي يقول:

عـــادةُ الـــدّهرِ فـــلا تفـــ رح و لا تَحـــــزن لحـــــالِ
هـــــي أن تبـــــيض ايـــــا م و تســــــوّد ليــــــالي

(الديوان،١٩٦٧،٤٠٥)

الزّهاوي عرف الدهر كما عرفه الخيام و عرف عدم وفائه و بقائه فيوصي نفسه بعدم الحزن لذلك فالمضمون هو المضمون ذاته الذي إختاره الخيام في بعض رباعياته من عدم الإكتراث بالحياة الدنيوية مثل الرباعي التالي الذي يقول فيه:

اي دل غـم ايـن جهـان فرسـوده مخـور بيهـوده نـه اي غمـان بيهـوده مخـور
چـون بـوده گذشـت ونيسـت نـابوده پديـد خـوش بـاش غم بـوده و نابـوده مخـور

(الدشتي،١٣٥٦،٢٨٥)

الترجمة: ياقلبي لا تحزن لهذه الدنيا الفانية،فإتيانك إلى الدنيا ليس بعبث، فبما أنّ الماضي قد فات و ليس له عودة فتلذّذ من حياتك لأن الحزن قد كان منذ قديم و لا تحزن لما فات.

والرباعي الاخر للزهاوي الذي يقول فيه وهو أيضاً يمتلك نفس المضمون:

أينمـــــا كنـــــتُ تـــــاتي لي بـــــه خبـــــزٌ ومـــــاءُ
وأقلـــــــــــــتني ارضٌ وأظلّـــــــــــتني سَـــــــــماء

(الديوان،١٩٧٩،٤٠٥)

فحين الزّهاوي يجد القناعة، يجد عدم الإكتراث بما يجري حوله من حوادث مريرةٍ كما الخيام الذي ظهر لنا بتلك الاحوال المعروفة الذي أبداها في رباعياته مثل الرباعي التالي:

چـون چـرخ بكـام يـك خردمنـد نگشـت　　تـو خـواه فلـك هفت شمر خـواهي هشـت

چـون بايـد مـرد و آرزوهـا همـه هشـت　　چه مور خورد بگور و چه گرگ بدشت

(الدشتي،١٣٥٦،٢٨٢)

الترجمة: عندما تجد الأيام لا تجري بما يشتهي الإنسانُ العاقل،فانت مختارٌ أن تحسب السماواتِ سبعةً أو ثمانية وعندما عليك أن تموت و تخلّف الآمال كلها فيستوي أن تأكلنا الديدانُ في القبر او الذئبُ في الصحاري.

التلذّذ من ايام الحياة:

في القسم الثاني من رباعيات الزّهاوي أي القسم الذي يوكد على التلذّذ من حياته في رباعياته متأثراً بالخيام

وجدنا أنّه يقول و بجراة كما قال قبله الخيام:

لا تقِـــف في وجـــهِ لـــذّا　　تـــك مكتـــوفَ اليـــدين

أنـــت لا تـــأتي إلى　　دُنيـــاك هـــذي مرّتـــين

(الديوان، ١٩٧٩، ٤٠٧)

ويقول في رباعي آخر

مَتّـــع حياتَـــك وارضَـــع　　دنيـــا عليـــك تَجـــود

فأنـــت إن سِـــرت عنـــها　　يومـــاً فلســـتَ تعـــود

(المصدر نفسه،٤١٢)

فالزّهاوي التعبان الذي استهلك طاقاته في امورٍ عديدة قد وصل إلى التلذّذ بالحياة الماديّة،و هذا التلذّذ من الحياة هو المضمون الرئيسي لبعض الرباعيات الخيامية أيضاً:

وقـت سحراسـت خيـز اي مايـه نـاز　　نـرم نرمـك بـاده خـور وچنـگ نـواز

كاينهـــا كـــه بجاينـــد نپاينـــد دراز و آنهـا كـه شـدند كسـي نمـي آيـد بـاز

(الدشتي، ١٣٥٦، ٣٧١)

والذي قام بتعريبه إلى العربية محمد السباعي بهذه الصورة:

غـــرّد الطـــيرُفنبّـــه مـــن نَعـــس وأدر كأسَـــــك فـــــالعيشُ خُلّـــــس

سُـلّ سـيفُ الفجـر مـن غَمـد الغَلـس وانـــبري في الشّـــرق رام أرســـــلا

(بكار، ١٣٨٣، ٦٩)

حان وقت الصبوح فقم يا مالك الغنج و اشرب و اعزف بالعود، فالأحياء لا يبقون طويلاً و الذين قد رحلوا من الدنيا لا يرجعون.

ثمّ يقول في رباعي آخر بنفس المضمون:

روزي كـه گذشـت هـيچ ازو يـاد مكـن فـردا كـه نيامـده اسـت فريـاد مكـن

برنامـــده و گذشـــته بنيـــاد مكـــن حـالي خـوش بـاش و عمـر بـر بـاد مكـن

(الدشتي، ١٣٥٦، ٣٧٧)

والذي اعربه النجار بهذه الصورة:

إمـــلأ الكـــأسَ فمـــا تنفعُنـــا رؤيـــةُ الأيـــامِ تمضـــي وتـــكرّ

وغـــدٍ لّمـــا يحـــن مولِـــده ومضـــي الأمـــسُ مـــن العمـــر ومـــرّ

(بكار، ١٣٨٣، ٥٩)

الترجمة: لا تذكر اليوم الذي قد فات ولا تصرخ للغد الذي لم يات بعد، ولا تبني قراراتك على من لا ياتي وعلى الماضي، فاستغني اللحظةَ ولا تهدر عمرك هباءً منثوراً.

الإنسان و مصيره نحو التراب:

المحور الثالث لرباعيات الزّهاوي المتأثّرة من الخيام حيث وجدناها في رباعياته حصرياً،محور رجوع الأجسام إلى التراب مثل الرباعي الذي قال فيه:

أكثـــرُ التّـــرب عظـــامٌ مـــن ضـــلوعٍ وصـــدورِ

سـحقتها أرجـلُ الدهـر وأقـدامُ العُصـور

(الديوان،١٩٧٩،٤٠٨)

الإنسان وجسمه الترابي قد كان محلا للنقاش عند أكثر مفكري العالم مثل الزّهاوي والخيام فهذا المضمون في رباعي الزّهاوي قد يشبه رباعي الخيام بالمضمون كثيراً:

ايـن كـوزه كـه آبخـوره مزدوريسـت — از ديـده شـاهي و دل سـتوري سـت

هر كاسه مي كه بر كف مخموري ست — از عـارض مستي و لـب مستـوري ست

(الدشتي،١٣٥٦،٢٠٧)

الترجمة: هذا الإناء الذي يشرب بها العميلُ الماءَ كان في الأصل من تراب إنسان ملك وجميل، وكلُّ قدحٍ بيد خمارٍ من تراب وجهٍ مخمورٍ و شفاه مستور الوجه.

وأيضاً له:

سـآئلتُ شـيخاً قـد تحـدّ بَ مـا تفـتّش في التُّـراب

فأجـابنَي مُتاوّهـا ضـيعت ايـام الشّبـاب

(الديوان،١٩٧٩،٤٢٢)

ويقول الخيام:

هـر ذره كـه برخـاك زميني بـوده اسـت — خورشيد رخي زهره جبين بوده است

گـرد از رخ نـازنين بـازرم فشـان — كـانهم رخ خـوب نـازنيني بـوده اسـت

(الدشتي،١٣٥٦، ٢٠٨)

الترجمة: كل ذرةٍ من التراب التي تراها على الارض كانت من صاحب وجهٍ جميل كالشمس، فخذ هذا التراب بهدوءٍ منه لانّه كان لوجه جميل أيضاً.

الرباعيات الزهاوية المتأثرة من الخيام شكلاً:

في هذا البند نتطرق وجيزاً حول رباعيات الزهاوي بالمضامين الحرّة التي تأثرت شكلاً من الخيام في الوزن وحفظ المضمون الواحد ولها مضامين متفرقة مثل:

الحب:

كنـــــتُ موصـــــولاً بليلـــــي قبـــــلَ ان شـــــطّت نواهـــــا

كـــــل يـــــومٍ نتلاقـــــى وتـــــــــراني وأراهـــــــــا

(الديوان،١٩٧٩،٤٠٤)

ومثل ما قال أيضاً في ليلي:

قـــــرأتُ في عـــــينِ ليـــــلى عنـــــوانُ ســـــحرٍ مـــــبينٍ

والسّـــــحر إن كـــــان حقـــــاً فانّـــــــه في العـــــــيون

(المصدر نفسه،٤٠٩)

فيكثرُ من ذكر ليلي في هذا الباب ويسعى أن لا يتأخّر عن باقي شعراء العرب الغزليين ولو أنه ضلّت إرادته في هذا الباب.

الشّعر:

أيهـــــا الشّـــــعر ســـــلوى أنـــــت في ســـــاعةِ همّـــــي

إدرأ الأحـــــــزان عنّـــــي بـــــأبي أنـــــت وأمـــــي

(المصدر نفسه،٤٠٤)

ومثل:

أنـــــا يـــــا شـــــعر كئيـــــبٌ مثلمـــــا أنـــــتَ كئيـــــبُ

وكلانـــــــا أيهاالـــــــــ شـــــعرُ ببغـــــدادِ غريـــــبُ

(المصدر نفسه،٤٠٥)

فنراه يستعمل بلاغة التشخيص في مناداة الشعر كثيراً.

المرأة:

إنّمـــــا المـــــرأةُ والمـــــر ءُ ســـــــــواءٌ في الجـــــــدارةْ

علّمـــــوا المـــــرأةَ فـــــالمر أةُ عنـــــــوانُ الحضـــــــارةْ

(المصدر نفسه،٤٠٧)

ومثل ما قال مدافعاً عنها:

يرفـــــع الشّـــــعبَ فريقـــــا ن إنـــــــــاثٌ وذكـــــــــور

وهـــــــل الطـــــــائرُ الـــــــ ـــــــاّ بجناحيـــــــه يطـــــير

(المصدر نفسه،٤٠٧)

وقد بحثنا موفين هذا البحث سابقاً.

الناس والاجتماع:

إخـــــدموا الشـــــعبَ بحـــــقٍ وإذكـــــــــروه باحتـــــــــرامٍ

لا تخونـــــوا الشّـــــعبَ فالـــــ شـــــعب عزيـــــزٌ ذو انتقـــــامٍ

(المصدر نفسه،٤٠٧)

ومثل ما قال فيه أيضاً:

لـــيس شـــيءٌ يضـــرّ بالنّـــاسِ كـــا لطـــــيشِ إذا دام دافعـــــاً في الحيـــــاة

رب اخـــــلاقٍ أحـــــرزت في عصـــــورٍ فاضـــــيعت بـــــالطيشِ في ســـــنوات

(المصدر نفسه،٤١٧)

ومثل ما فال حول مستقبل الناس:

كلّمـــــــا فكـــــــرت في الأ مـــــر تولّـــــاني ارتِجـــــاف

أنـــا مـــن مســـتقبلِ النـــاس علـــــى النّـــــاس أخـــــاف

(المصدر نفسه،٤٠٦)

وهو يظهر لنا كمصلح للإجتماع في أكثر ابياته الشعرية للاجتماع.

التأثر الجوهري:

الباب الآخر يبحث حول الفكر الخيامي الذي قد أثّر في الزّهاوي و جعله يهتم به شديداً و يجعله مصدراً من مصادر أفكاره و جذراً من جذوره و يقع في الجانب الثّاني من عملنا حول أثر الخيام في شعر الزّهاوي بصورةٍ عامة دون الرباعيات؛ فنسعي في هذا الجانب

من البحث الكشفَ عن النّقاط المشتركة الفكرية بين الخيام و الزّهاوي التي ظهرت في رباعيات الخيام من جانب و في أشعار الزّهاوي من جانب آخر.

الكون والحياة وماهيتها:

كانت الحياة في هذه الدنيا تحلّ محلاً واسعاً للنقاش و البحث عند الكثير من المفكرين فالكلّ يبدي رأيه حسب مذهبه و نظامه الفكري و الإطار الذي يُحدّد به الّا القليل من المفكرين الذين لا يقتنعون بما يقّدمه لهم مذهبهم و يريدون بذلك عدم الوقوف والإقتناع الذي هو بمثابة السّمَ للرشد، مثل الخيام حيث يقول:

اجرام كه ساكنان اين ايوانند — اسباب تردد خردمندانند

هان تا سر رشته خرد گم نكني — كانان كه مدبرند سرگردانند

(الدشتي،١٣٥٦،٢٧٢)

الترجمة: هذه الأجرام التي تسكن في الكون، قد تكون سبباً لتردّد ذوي العقول فانتبه حتى لا تفقد عقلك، لانّه المدبّرين قد يكونوا حياري، فما بالك انت.

أظهر الخيام ترديده في ذلك الرباعي في كشف الحقيقة و النيل منه؛ فيوصّي نفسه بعدم نسيان ذلك و أخذ الحزم و الحيطةَ، فالخيام الفيلسوف التابع لمكتب ابن سينا المشائي مع تلك السابقة العريقة يبدي رأيه بهذه الصوره الوجيزة حول الحياة و يعبّر عن عدم علمه ببداية الخلق ونهايته وعدم اعتماده على رأي الأُخرين لانّهم انفسهم لا يمتلكون الصلاحية في ذلك.

سمع الزّهاوي هذا الكلام و عرف المعنى منه، أنّ الإنسان عليه أن يكشف بنفسه فلسفة حياته و لمية وجوده ولا يتكل على رأي الآخرين فقال بجرأةٍ:

ليتني عارفٌ لماذا حُبينا — ولماذا من بعدِ حين نَزولُ

قيلَ لي لا تقُل فكان جوابي — أنا إن لم أقل فمن ذا يقُل

(الديوان،١٩٧٦، ٤٥)

فالزّهاوي أيضاً يعبّر عن حيرته كما عبّر الخيام سابقاً إزاء فلسفة الحياة فاشتركا الاثنان في هذا المحور الأساسي وظهر هذا في أشعارهم.

فالكون كلّه محل للإعجاب و الحيرة عند الخيام كما أسلفنا و لم تجد فيلسوفاً و مفكراً قد يعطيك الجواب الصحيح لحل ذلك الُلغز فلا تعتمد على أحدٍ و لا تتّكل على أحدٍ، فعليك أنت بنفسك أن تحل ذلك.

الخالق و دوره في الحياة ولِمّية أفعاله :

يمتلك الخيامُ نظرةً خاصةً و جريئةً حول ربّه و يعرضها في رباعياته جريئاً دون اكتراثٍ و هي التساؤل الدائم حول أفعاله و كيفيتها فهو يعيشُ في حيرةٍ منها:

جامي است كه عقل آفرين ميزندش — صد بوسه ز مهر بر جبين ميزندش
اين كوزه گر دهر چنين جام لطيف — ميسازد و باز بر زمين ميزندش

(الدشتي،١٣٥٦،٢٧٦)

الترجمة: مثلُ الحياة كالقدح الذي يصنعه الله، قد يقبّله مئة مرةٍ بعد الخلق لكنّ هذا الخالق بعد صناعة ذلك القدح الجميل لماذا يصضربه ارضاً و يكسره.

فسأل الخيام بصراحة حول أفعال الخالق و لِمّيتها و تلقّي من معاصريه ردوداً،إتُّهم بعدها بالزندقة و الإلحاد ظلماً، والحقيقة أنّه أراد غير ذلك، فالخيام بمثل هكذا أسئلة يظهرعدم الإقتناع بالمستدلّات المطروحة من قبل المتشرّعين فقط، ويقول:يجب على الإنسان أن يسال نفسه و يتحرّك نحو جوابٍ مقنعٍ يرضي وجدانه، فسمع الزّهاوي الرباعي و مثله من الرباعيات فتساءل عن خالقه و مكانته عند الناس:

لّما جهلت من الطّبيعه أمرها — وأقمت نفسَك مقام معلِّل
أثبتّ رباً تبتغي حلاً به — للمشكلاتِ فكان أكبرُ مشكلِ

(الرشودي، ١٩٦٢: ٢٣٢)

فيقول الخيام في شرح تلك الفكرة و في رباعي آخر متسائلا وطالباً الجواب لطبيعة اعمال الله جل جلاله:

دارنده چو ترکيب طبايع آراست — باز از چه فکندش در کم و کاست
گر نيک آمد شکستن از بهر چه بود — ور نيک نيامد اين صور عيب کراست

(الدشتّي،١٣٥٦: ٢٧١)

فترجم هذا الرباعي القاضي نظام الدّين الإصفهاني (٦٨٠هـ)

الصـــــانعُ إذا أحســـــن في التّركيـــــب ... لمَ يخـــرج نظـــمَه عـــن التّرتـــيب

إن ســـــاءَ؛ فمـــن أحـــقّ بالتّثريـــب ... أو أحســـنَ، مـــا الحكمـــةُ في التّخريـــب

(بكار،١٣٨٣،٣٠)

الترجمة: إذا أحسن الخالق في تركيب الخلق فلمإذا جعل فيه النقص. إذ كان خلقه جيداً لماذا كسره ببعض النقوص وإذ كان غير جيدٍ فلمن هذا الخلق.

فيقترب الزّهاوي أيضاً في هذا المحور الفكري حول خالقه من الخيام، فنّجد حيزاً كبيراً من أشعاره يختص بهذا المحور وتبيين فكرته التي لا تكن بالثابتة، فالزّهاوي صاحب الآراء المختلفه والمتباينة في هذا المحور فيغير فكرته ورأيه، أو بالأحرى يندم على ما يقول بعض الاحيان مثل ما قال في هذا المقطع:

قـــالوا ســـيرجعُ حيـــاً بعـــدَ ميتتـــهِ ... وهـــل ســـيرجعُ معـــدومٍ مـــن العـــدمِ

الّـــا إذا شـــاءَ ربّـــي فهـــو مقتتـــدرٌ ... علـــى إعـــادةِ آلافٍ مـــن الـــرّمم

لكنّمـــا اللّهُ لـــو شـــاءَ الحيـــاةَ لهـــم ... مـــا ســـلّط المـــوتُ محتومـــاً علـــى الأمـــم

(الديوان،١٩٧٩،٥١١)

فكما نرى الزّهاوي يسال بنفسه و يجيب و يندم على ما تجرأ من الكفر.

قيمة العقل البشري:

إنّ العقل البشري قد شغل المفكرين كثيراً فمنهم ردّه و منهم من جعل له السيادة في المعرفه، فالخيام و الزّهاوي أيضاً كانوا ممن بحثوا نقطة قيمة العقل في هداية الإنسان إلى حدٍ ما، كما قال الخيام:

آنهـــا كـــه بـــه كـــار عقـــل در ميكوشـــند ... هيهـــات كـــه جملـــه گـــاو نـــر ميدوشـــند

آن بـــه كـــه لبـــاس ابلهـــي در پوشـــند ... كـــامروز بعقـــل تـــره مينفروشـــند

(الدشتّي،١٣٥٦،٢٩٣)

الترجمة: الذين يقومون بأعمالهم وفق الموازين العقلانية مثلهم كمن يحلب من البقر

الذكر، فالاحسن ان يتلبّسوا بلباس الحمقاء لأنّه في يومنا هذا وبالعقل لا تتمكن حتى من بيع الخضار.

لا يمكن للعقل ان يومّن الإنسانَ كاملاً و الزّهاوي أيضاً على هذا الخطي كاملاً وكانّه أراد ان يعرّب تلك الرباعي حين قال:

ما زالَ هذا الكون سراً طاوياً ... في نفسهِ حقيقةٌ لم تُفهم

العاقلُ يخبطِ سبيلَه ... في جوف ليلٍ للعمايةِ مُظلم

(الديوان،١٩٦٧:ص٤١)

فيعبّر عن فكرته نفسها في مكانٍ آخر:

إنّ الطبيعةَ لم تزل مجهولةٌ ... ولقد أحاطَ بنا لها اسرارُ

العقلُ سار تارةً ومؤوّب ... والشّك ليلٌ واليقينُ نهار

والزّعمُ قد يصفو فيظهرُ صائباً ... وعلى الحقيقةِ غبارِ

(الديوان،١٩٧٩،٤٤)

فالخيام قد يختلف مع الزّهاوي في بعض الأحيان في قيمة العقل وهو يشكك في اعتبار العقل كمصدرٍ للمعرفة، كما يقول في الرباعي التالي:

بر چشم تو عالم از چه مي آرايند ... مگراي بدان كه عاقلان نگرايند

بسيار چو روند و بسيار آيند ... برباي نصيب خود كه ات برباينند

(الدشتّي،١٣٥٦:ص٢٨٦)

الترجمة: ما السبب في خلق العالم في رأيك، لا تفكر به فالعقلاء لا ينظرون به.جاء الكثير مثلك و ذهبوا فخذ نصيبك من الدنيا حتى لا يأخذوا نصيبك منها.

فالفضل للعقل في هدايته بالحياة المادّية لكن الخيام قد يغير رايه عند الوصول إلى ما بعد الحياة:

اجرام كه ساكنان اين ديوانند ... اسباب تردد خردمندانند

هـان تـا سـر رشـته خـرد گـم نكنـي كانـــان كـــه مدبرنـــد ســـرگردانند

(المصدر نفسه:ص٢٣٤)

الترجمة: هذه الأجرام التي تسكن في الكون سبباً لترديد العقلاء؛ إنتبه حتى لا تضيع طريق العقل في الكون فالمدبّرون أيضاً حياري فيها.

الإتيان إلى الدنيا رغماً والرحيل منهاجبراً:

كان الجبر في الميلاد والرّحيل يشغل بال الناس كثيراً فترضي الناسُ العوام بما قُدّر لها، أما العظماء من المفكرين؛ فكانوا يتباحثون حول هذه الظاهرة ويلومون ويتساءلون فيها كالخيام الذي أبدي رأيه في كثيرٍ من الرباعيات ولام من الميلاد والموت اللّا إختياري:

آورد باضـــطرارم أوّل بـــه وجـــود جـز حيـرتم از حيـات چيـزي نفـزود

رفتـــيم بـــاكراه و نـــدانيم چـــه بـــود زيـن آمـدن و بـودن و رفـتن مقصـود

(الدشتّي،١٣٥٦،٢٠٤)

الترجمة: جاء بي إلى الحياة مضطراً فما زادني الّا حيرةً ثمّ ذهبنا عنها بإكراهٍ فما عَرفنا الغاية من الإتيان و البقاء والذّهاب.

فالإنسان في رايه مُجبراً على هذه الامور كالحياة والموت، فهي عيشةٌ جبريةٌ لا اختياريه مطلقاً.

و في الجانب الاخر وجد الزّهاوي هذا الكلام عذباً سائقاً يرضي ضميره و كما قلنا كأنه يعرّب تلك الرباعيات و الآراء حيث يقول:

أتـــى غـــير مختـــارٍ وفـــارق مضـــطراً ولم يـــك لمـــا عـــاش في نفســـه حـــراً

(الديوان،١٩٦٧:ص٤٤)

فالحالة العامة للحياة عند الزّهاوي تؤدّي إلى الإجبار فأين الحرية في ذلك:

مـــا جئـــت أســـتبق الحيـــاةَ مســـارعاً لـــو كـــانَ لي قبـــل المجيـــئ خيـــار

إن عـــاش إنســـانٌ تعـــش أوطـــارهُ أو مـــاتَ يومـــاً ماتـــت الأوطـــار

(الديوان،١٩٧٩،٤٣)

إذن الزّهاوي وجد في الخيام وفكرته التحررية ضالته وشاركه في تلك الفكرة ونقلها إلى شعبه آملا أن يصنع مجتمعاً حراً لا تحددّه القيود الموروثة من الماضي، ووجدنا الزّهاوي قد أخذ كثير من رؤوس أفكاره من الخيام وسكبها بطلاءٍ جميل وقدّمه إلى شعبه بتواضع خاص.

النتائج

١- عرفنا من البحث السابق أنّ الزهاوي تعرّف على الأدب الفارسي والخيام بالتّحديد عبر؛ اولاً: جذوره الفارسية التي تعلّم بفضلها اللغة الفارسية و أنشد أشعاراً بها.

ثانياً: التطوّر العلمي الذي جاء بكل فكرة جديدة و سبّب في إنعاش الأدب.

٢- تعرّف الزهاوي على الخيام و كشف فحوي كلام الخيام الداعي إلى الحرية و نبذ العصبيات الفارغة و انبهَر بذلك الكلام.

٣- الأدب المقارن قد تكفّل في العضر الحاضر كشف التّرابط بين الآداب العالمية من مثل تأثّر الزهاوي بالخيام فدرسنا هذا التأثّر في إطار هذا العلم.

٤- إنّ الزهاوي تأثّر بالخيام في الباب الشكلي في تعريب الرباعيات الخيامية بصورتين النظم و النثر و تلك التعريبات قد تُعدّ من أفضل التعريبات في العالم العربي.

٥- تأثر الزهاوي بالخيام في الباب الشكلي أيضاً و ذلك في إستعمال القالب الرباعي على شكل الخيام بتلك الميزات الخيامية و بأفكار تتشابه مع أفكار الخيام و في بنود واضحة مثل عدم الحزن بالدهر و عدم الاكتراث به و التلذذ من الحياة و الانسان و مصيره نحو التراب.

٦- أدخل الزهاوي أفكاره الخاصة به مثل أفكاره حول المراة والحب والشعر والناس والاجتماع والغرب وتطوره في قالب الرباعي وخصّص كل رباعي لموضوع خاص كما فعل الخيام.

٧- تأثر الزهاوي بالخيام في الباب الجوهري وذلك في إدخال أفكار الخيام الخاصة في أشعاره على العموم مثل فكرته حول الكون والحياة و ماهيتها وفكرته حول الخالق ودوره في الحياة و فكرته حول نهاية المطاف للجسم البشري والبعث بعد الموت وقيمة العقل البشري والإتيان إلى الدنيا رغماً والرحيل منها جبراً.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم
- بكار، يوسف حسين، رباعيات خيام در ضيافت شعر عربي؛ تهران: الترجمة لهادي خديور بور، منشورات جامعة طهران، الطبعة الثالثة. (١٣٨٣ش)،
- پروييني، خليل، نظرية ادبيات تطبيقي اسلامي، مجلة العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، دوره ٦، شماره١٤، صفحه ٥٥-٨٠ (١٣٨٨ش)
- الجعفري، محمد تقي، تحليل شخصيت خيام؛ تهران؛ منشورات كيهان؛ الطبعة الثانية(١٣٧٢ش)
- الدشتي، علي، دمي با خيام؛ طهران، مطبعة سبهر؛ الطبعة الثالثة(١٣٥٦ش)
- الرشودي، عبدالحميد، الزّهاوي دراسات و نصوص؛ بيروت: دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية(١٩٦٢م)
- الزّهاوي، جميل صدقي، ديوان النهضة؛ بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى(١٩٨٣م)
- الاعمال الكلية؛ بيروت، دارالعودة، الطبعة الثانية(١٩٧٢م)
- الساعدي، حاتم، اتجاهات الشعر العربي الحديث؛ قم، منشورات ستاره، الطبعة الثالثة(١٤٢٠ق)
- شكيب انصاري، محمودفن ترجمة از عربي به فارسي و برعكس، انتشارات دانشگاه شهيد چمران اهواز(١٣٨١ش)
- صالحي، كورش، برآمدن يعقوب ليث صفاري، مجلة تاريخ ايران صيف وخريف ١٣٩١، رقم ٧٠/٥(ش١٣٩١)
- صفا، ذبيح الله، تاريخ ادبيات ايران، انتشارات ققنوس، طهران، الطبعة السابعة عشر(١٣٧٣ش)
- غنيمي هلال، محمدالأدب المقارن، القاهرة، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة التاسعة(٢٠٠٨م)
- فاخوري، حناتاريخ ادبيات عربي، انتشارات توس، چاپخانه حيدري، طهران(ش١٣٧٧)
- مهاجر شيرواني،فردينكاهي به خيام و رباعيات، انتشارات پويش،چاپ اول(١٣٧٠ش)
- نجف اللهي، سعيدعمر الخيام فلسفته ورباعياته وترجماته، مجله زبان و ادب، پاييز١٣٨٥، شماره٢٩، ص١٥٨-١٨٣(١٣٨٥ش)
- نجفي، راحلة، بينامتني شخصيت معري در شعر فارسي؛ بزوهشنامة نقد أدبي و بلاغت، السنة الثالثة، الرقم الأوّل(١٣٩٣ش)
- الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العربي، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، مطبعة أمير،(١٩٩٨ش).